



الفكر الإسلامي وأثره في تنمية مبادئ الاعتدال الاجتماعي

بحث مشترك :

د. احمد عباس محمد

أ.د. أحمد خزعل جاسم

كلية السلام الجامعة

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

قسم الدراسات الاسلامية

قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الأمين نبينا محمد، وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين، وعلى من سار على دربهم إلى يوم الدين .
أما بعد:

فالمشكلات والاختلافات المعاصرة باتت تؤثر بشكل سلبي وبدرجة كبيرة على تماسك المجتمع المسلم، ما أدى إلى اشاعة الفرقة والشحناء والخصومة بين افراده بمذاهبهم الدينية والفكرية المختلفة، مما يجعل مستقبل الامة المسلمة في خطر كبير تحت سيطرة التيار الغربي المنحرفة، وهذا يستدعي من قادة الفكر الاسلامي الوسطي الوقفة الجادة في اصلاح هذا الخلل، والاعتدال الاجتماعي في امتنا الاسلامية، ولكل ما تقدم تم اختيار هذا العنوان في محاولة لتقييم الوضع وتقديم التوصيات لتقويمه واصلاحه.

ومن أهم أسباب اختيار الموضوع:

١. حاجة الأمة الإسلامية إلى الاعتدال الاجتماعي بسبب مافسده الإعلام الغريب المنحرف.
٢. الوقوف على أهم القواعد والأصول والأسس التي توصلنا إلى الاعتدال الاجتماعي .
٣. بيان الوسائل التي يجب إتباعها للوصول إلى الاعتدال الاجتماعي.
٤. إهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالاعتدال الاجتماعي بشكل كبير .

أما أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:
١. فهم معنى الاعتدال بشكل عام، والاعتدال الاجتماعي بشكل خاص.
 ٢. معرفة أصول الاعتدال الاجتماعي وقواعده كما جاءت في نصوص الوحي.
 ٣. إبراز الميادين والجوانب التي تحتاج إلى الاعتدال الاجتماعي.
 ٤. توضيح الأسس التطبيقية لعملية الاعتدال الاجتماعي في عصور الإسلام الزاهرة.
 ٥. بيان العلاج اللازم الذي يحقق الاعتدال الاجتماعي، ويزيل الكثير من مشاكل المسلمين.

خطة البحث:

- يشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:
- المبحث الأول: مفاهيم عامة وخصائص.
 - والمبحث الثاني: دوافع المشكلات الاجتماعية المعاصرة.
 - المبحث الثالث: ظواهر المشكلات الاجتماعية المعاصرة.
 - المبحث الرابع: صور الاعتدال الاجتماعي ومستوياته.
- الخاتمة: بينت فيها أهم نتائج البحث. والحمد لله رب العالمين.

والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامة في إطار المبادئ عقيدة وشريعة وسلوكاً^(٤).

و عرف أيضاً « الفكر الاسلامي هو هذه الحصيلة من الموضوعات التي تخاطب العقل البشري فيما يمس عالمنا الواقعي الموسوم بعالم الشهادة ويدفع الى التأمل والملاحظات والنظر فيما يتعلق بقضايا العقيدة والعبادة والقيم والنزعات والأخلاقيات في الإسلام^(٥)، فالفكر الإسلامي يشمل جميع إنتاج فكر المسلمين من البعثة الى يومنا هذا، ومن علومه المساعدة الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والتصوف وأصول الفقه وغير ذلك مما يدخل في التراث الاسلامي^(٦).

ثانياً: خصائص الفكر الاسلامي:

الفكر الإسلامي فهو ملتزم بعالم الطريق الى الله حيث يهدي الى الله سواء كان سلوكاً أو اعتقاداً لتنتفي بذلك عنه صفة الهوى وعدم الموضوعية حيث يعتبر الفكر تفقه للشريعة الإسلامية «إن الفكر الإسلامي فكر ملتزم بعالم الطريق الى الله وليس فكراً مجرداً أو هوى معربداً بل هو تفهم وتفقه للشريعة الإسلامية ... ففي الدين الحقائق الثابتة والمعاني التي اشترعها الله، كلية أو فرعية على وجه القطع والدوام، ولكن

(٤) تجديد الفكر الاسلامي د. محسن عبد الحميد . الولايات المتحدة الامريكية ط ١٩٩٦م ص ٤١ .
(٥) الفكر الاسلامي د. محمد الصادق عفيفي . القاهرة مكتبة الحانجي بدون تاريخ ص ١٢
(٦) مدخل الى دراسة الفكر الاسلامي د. السيد محمد عقيل . دار الحديث القاهرة ط ٢٠٠٤ ص ١١ .

المبحث الأول:

مفاهيم عامة وخصائص

المطلب الأول:

مفهوم الفكر الاسلامي وخصائصه

أولاً: مفهوم الفكر الاسلامي في اللغة والاصطلاح:

الفكر بفتح الفاء من فعل فكر يفكر فكراً، تقول: فكر في الأمر، أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به الى مجهول^(١)، كما يأتي الفكر بكسر الفاء والمعنى واحد وقال ابن منظور: والفتح فيه أفصح من الكسر^(٢).

أما الفكر في الإصطلاح فله معنيان، أحدهما خاص والثاني عام . فالمعنى الخاص هو أعمال العقل في الأشياء للوصول الى معرفتها . والمعنى العام يطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية^(٣).

أما مصطلح الفكر الإسلامي فقد جاء هنالك تعريفات عدة فقد عرفه الدكتور محسن عبد الحميد بقوله مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة وهو يعنى كل ما أنتجه فكر المسلمين منذ مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى

(١) المعجم الوسيط مادة الفاء والكاف والراء .
(٢) لسان العرب ابن منظور الافريقي المصري . بيروت دار صادر ج ٥ ص ٣٤٥١
(٣) تاريخ الفلسفة العربية جميل صليبي . بيروت . دار الكتاب اللبناني ط ١٩٧٣م ج ٢ ص ١٥٤



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. أحمد عباس محمد

الذاتية. فهي لا تتغير ولا تتطور، حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية.. فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التطور ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة ولكن يقتضي السماح لها بالحركة، بل دفعها الى الحركة ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت^(٣).

إن الحقائق الثابتة في الفكر الإسلامي إن الكون بما فيه من خلقه تعالى، حقيقة الإيمان بالله وأركان الإيمان والإسلام وأركانه كل هذه الحقائق هي ثابتة ولا تقبل أي تغيير.

٣. الشمول:

شمول الفكر الإسلامي إنما يعبر عن شمول الإسلام كنظام للحياة، يفى بمتطلبات الحياة في مجال العقيدة والإقتصاد والسياسة والقانون وسائر متطلبات الحياة المجتمعية، هذه المجالات جميعها سيغطيها الفكر الإسلامي (صلح الإسلام أن يكون منهج حياة شاملاً متكاملًا، منهجاً يشمل الاعتقاد في الضمير والتنظيم في الحياة، بدون تعارض بينها، بل في ترابط وتداخل يعز فصله)^(٤).

وفي الشمول ينبغي أن نحدث ثورة في تجديد فقهننا أو فكرنا الديني لنستدرك هذه المتأخرات عبر القرون الطويلة ولنضفي روح التدين على كل هذه القطاعات الجديدة من الحياة التي لا حكم اليوم للدين فيها . قد

فيه فكر المسلمين الذين يأخذون تلك المعاني بالشرح ويقدمونها دعوة للآخرين أو يتفهمونها لكي يطبقوها في واقع معين^(١)، ولذا فإن للفكر الاسلامي عدة خصائص والتي من ابرزها الاتي:

١. الربانية:

الربانية خصيصة من خصائص الفكر الإسلامي ويستمد منها الفكر الإسلامي قدسيته ومنها تتبلور سائر الخصائص الأخرى «المذكورة» كذلك .. فهو تصور اعتقادي موحى به من الله سبحانه ومحصور في هذا المصدر لا يستمد من غيره .. وذلك تمييزاً له من التصورات الفلسفية التي ينشئها الفكر البشري حول الحقيقة الإلهية أو الحقيقة الكونية أو الحقيقة الإنسانية والإرتباطات القائمة بين هذه الحقائق، وتميزاً له كذلك من المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية... ويستطيع الإنسان أن يقول وهو مطمئن: إن التصور الإسلامي هو التصور الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله (الرباني) وحقيقته الربانية^(٢).

٢. الثبات:

خاصية الثبات تظل ملازمة للفكر الإسلامي فنبات المصادر والأصول للفكر الإسلامي هي التي تنعكس على الفكر الإسلامي لتجعله فكراً ثابتاً (هناك ثبات في مقومات هذا التصور الأساسية وقيمه

(١) قضايا التجديد ٨١ .

(٢) ينظر: خصائص التصور الاسلامي ومقوماته. سيد قطب.

القاهرة دار الشروق ط١٩٩٨م ص٤٣».

(٣) المرجع نفسه ص٧٢ .

(٤) المرجع السابق ص ١٠٩ .

تاريخ الفقه الإسلامي وتاريخ الدين ودائماً في دوراته الى حركات تجديد وتقويم^(١).

٥. الواقعية :

الواقعية خاصة من خصائص الفكر الاسلامي واي فكر لا يتفاعل مع الواقع هو بالضرورة فكر مثال ، لا مجال له في عالم التطبيق. لذلك كان الفكر الاسلامي واقعياً يعبر عن الوجود بواقعية على مستوى الكون المرئي، كما ان نظام العبادة هو الآخر واقعي يستطيع البشر ممارسة العبادة خلافاً لبعض الشعائر المثالية التي يعجز البشر عن ادائها وان الله لا يكلف نفساً الا وسعها.

هذه الواقعية لا تقتصر فقط في مجال المحسوس والعبادة المفروضة ، بل تتجاوز ذلك حيث ان الخصام بين الواقع الطبيعي والعلم الشرعي لا اصل له بمعايير الاسلام ولا بد لنا ان نحرر العلوم الطبيعية ونربطها بالدين رباط العالم بالعلمين معا ومن ثم نستطيع ان نواكب العصر مجددين للدين (فالعلم الطبيعي والعلم الشرعي فرعان من علم الدين ينبغي ان يتناصرا وان يتحدوا ليتوحد العلم كله، ويوجه الى الله تعالى ويسخر لعبادته فوق الارض ولكن لما اقتصر علمنا في عصر من العصور على النقل تأخر فينا علم الطبيعة ، حتى استيقظنا على صراعات الغزو الفكري الاجنبي، ووردت اليها علوم الطبيعة اليوم وهي تحمل روحاً تجافي الدين،

يعلم المرء اليوم كيف يجادل إذا أثرت الشبهات في حدود الله ولكن المرء لا يعرف اليوم تماماً كيف يعبد الله في التجارة أو السياسة أو يعبد الله في الفن . كيف تتكون في نفسه النيات العقدية التي تمثل معنى العبادة، ثم لا يعلم كيف يعبر عنها عملياً بدقة^(١).

٤. التوازن:

خاصية التوازن في الفكر الإسلامي هي التي تجعله فكر لا ينجح الى أحد طرفي التقيض فهي التي توازن بين مصادر المعرفة من وراء الغيب والشهادة بحيث تجعل المسلم لا يشتط في استيعابه لعالمي الغيب والشهادة، يعبد المسلم ربه بعيداً عن التطرف والرهبانية أو إهمال ما يجب أن يقوم به من تكاليف، ليتخذ بين ذلك طريقاً متوازناً يؤدي ما عليه من فرائض وما يستطيع من سنن دون إفراط أو تفريط.

أن الفقه الإسلامي بدأ حياً باتحاد العقيدة والشريعة أي الباطن بالظاهر واتحاد المعاني والمقاصد مع صور الشعائر والعبادات ولكنه مال بث أن جنح الى التطرف دون آخر، أما اهتم بالشكل والمظهر وترك «الجوهر» أو العكس، ووجه التجديد هنا يعني بالضرورة أن يتكامل الإنسجام ويتواصل كما كان . وقد بدأ الفقه الإسلامي فقهاً حياً تتحد فيه العقيدة والشريعة وتتحد فيه المعاني والمقاصد مع صور الشعائر والعبادات، ولكن ظروف تطورت على فادخلت فيه كثيراً من مظاهر الشكلية وبذلك احتاج

(٢) المرجع نفسه ص ٩١ .

(١) قضايا التجديد د. حسن الترابي ٩٦ .



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

الامور^(٢)، أي التوسّط فيها وعدم مجاوزة الحدّ.^(٣) الاعتدال اصطلاحاً: على الرغم من كثرة التعريفات المعاصرة للإصلاح سأقتصر على تعريفين فقط: أولهما: الاعتدال هو الرجوع إلى الإسلام، ويصحب ذلك منهج كامل متكامل يشمل الأفراد والمجتمعات، يصلح العقيدة والفكر والثقافة، ويصلح السلوك والعبادة، فهو إصلاح اجتماعي واقتصادي وسياسي، وهو إصلاح دعوي تربوي تنظيمي شامل متكامل^(٤).

التعريف الثاني: «هو تصويب ما أعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا عند المسلمين، والعودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه زوائد ومحدثات»^(٥). وهو الالتزام بما دان به قولاً وفعلًا واعتقاداً، بمعنى عدم الانحراف عن جادة الشرع يميناً وشمالاً والبقاء عليها - سواء كان في أمر من الامور الاعتقادية، أم في حكم من الأحكام، أم في أمر أخلاقي - ومراعاة ما عيّنه الشارع لنظم امور الدنيا والآخرة للإنسان.

تعريف الاعتدال الاجتماعي لغة واصطلاحاً:

”الجماعة في اللغة من الجمع: والجمع تأليف

(٢) المصباح المنير، ج ١، ص ٣٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٠٥.

(٤) محمود، علي عبد الحليم، فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م، ص ١٥.

(٥) بلقزيز، عبدالله - الخطاب الاعتدالي في المغرب، دار المنتخب،

بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٥.

مرده الى الصراع بين علوم الدين وعلوم الطبيعة او بين رجال الدين ورجال العلم في اوربا... لا يمكن ان نجتهد الا اذا تعلمنا علوم الطبيعة كما نتعلم الشريعة وبادوية الشريعة، ومهما حصل لك من العلم الديني بمعالجات الشريعة وبادويته السريعة، فلا بد لك من تشخيص المجتمع لتعلم الداء ثم تقدر ما هو الدواء الشرعي المعين الذي يناسب ذلك المجتمع، وذلك يتسديك ان تدرس المجتمع دراسة اجتماعية واقتصادية وان تدرس البيئة الطبيعية، دراسة فيزيائية وكيميائية حتى تستطيع ان تحقّق الدين باكمل ما يتيسر لك^(١).

رؤيته هنا ان التجديد في الفكر الاسلامي لا يتم بمناي عن الواقع العلمي والدراسة للمجتمع، بحيث يراعي الفقيه الظرف الاجتماعي والاقتصادي والبيئة ودارستها دراسة فيزيائية وكيميائية ومن ثم يستطيع الفقيه ان يصدر حكمه وفقاً لما تترتب عليه محصلة هذه الدراسة أن الدين نفسه لا يقوم الابتكامل العلوم الشرعية والطبيعية.

المطلب الثاني :

مفهوم الاعتدال الاجتماعي ومكانته

أولاً: مفهوم الاعتدال الاجتماعي في اللغة والاصطلاح:

الاعتدال لغة: من العدل، وهو القصد في

(١) قضايا التجديد ص ٩٥.

المجتمع، والعلاج المناسب لذلك كله، وقد يختلف معي بعض الناس فيقدمون الاعتدال السياسي أو الاقتصادي على الاعتدال الاجتماعي، وأنا أرى أن الاعتدال الاجتماعي يأتي على رأس الأولويات، ويشكل حجر الزاوية في عملية الاعتدال، فالسياسي يخرج من المجتمع الصالح، والاقتصادي يخرج من المجتمع الصالح، والمعلم الذي يصلح أحوال التعليم ويصوب الأفكار يخرج من المجتمع، فإذا فسد الذوق الاجتماعي، وصار الإنسان لا يبالي بارتكاب الجرائم والانحرافات فما فائدة ذلك، وفي هذا يصف الرسول ﷺ حال المجتمع بحال ركاب السفينة، حيث يكون بعضهم في أعلاها، وبعضهم الآخر في أدناها، فالذين في أدناها لا يأخذون حاجتهم من الماء إلا بالمرور من عند من كان في أعلاها، ثم أرادوا أن يخرجوها حتى لا يمرروا على من فوقهم، فإذا يقول الحديث: روى البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤَدِّ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا" (٣).

(٣) البخاري: محمد بن إساعيل (ت ٢٥٦هـ) - صحيح البخاري، ترميز وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة

المتفرق وضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع" (١).

تعريف الاعتدال الاجتماعي اصطلاحاً:

الاعتدال الاجتماعي: أصل شرعي من أصول الإسلام، يقوم على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقضي ذلك أن يكون في المجتمع أناس يقومون على إصلاح أموره في شؤون الدنيا والدين، بحيث تكفل قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التقدم الدائم والمستمر للمجتمع الإنساني، مع تغير الظروف والبيئات، وتجدد المصالح والعادات، فيكون القصد من ذلك تحقيق الاعتدال الديني والخلقي والاجتماعي. (٢)

ويتضح مما سبق أن الاعتدال الاجتماعي يقوم على إصلاح شؤون الحياة للإفراد والمجتمعات، بما يحقق لهم خير الدنيا والآخرة.

ثانياً: مكانة الاعتدال الاجتماعي :

للإعتدال الاجتماعي مكانته بين أنواع الاعتدال الأخرى، كالاتدال السياسي والاقتصادي والتعليمي والسلوكي والفكري، حيث يهتم الاعتدال الاجتماعي بإصلاح أحوال المجتمع وإنحرافات الناس، وشيوع الجرائم بين أفراد

(١) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م، ج ٣، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) ينظر: محمود جمال الدين، أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب المصري ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٩٣.



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى^(١).

إننا من خلال هذا التوجيه النبوي الشريف نجد من الضرورة الوقوف على اسباب ودوافعه ظهور حالات العنف بين افراد المجتمع المسلم.

وأهم هذه الأسباب التي قد تستلزم الأعمال العنيفة في المجتمعات، والتي يجب على الأمة معالجتها، للخروج من محنة الفرقة والصراع، وهي تتضح في المطالب الآتية:

المطلب الأول:

الدوافع الاقتصادية والسياسية

نجد في هذا المطلب مجموعة من الممارسات الاقتصادية والسياسية يقصد بها فرض الهيمنة على فئة من المجتمع، وهي كالاتي:

أولاً: فرض التسلط المالي:

تحصل الكثير من الأعمال العنيفة نتيجة دوافع اقتصادية، ولتحقيق مكاسب مالية، فإن انتشر في أمة الفقر والجوع وتسلط الطغاة على أقوات الشعوب وخيراتهم، في هذه الحالة ولعدم توفر سبل العمل الشريف، وانتشار البطالة بشكل كبير، يبدأ البحث عن موارد مالية بصورة غير مشروعة، وتستغل العصابات المجرمة هذه الدوافع الاقتصادية الملحة في زرع بذور العنف والقتل.

(١) البخاري. الجامع الصحيح. رقم الحديث: ٦٠١١.

أن أنواع الاعتدال مرتبطة ببعضها إرتباطاً وثيقاً، لا ينفك أحدهما عن الآخر، لكن الاعتدال الاجتماعي هو الأساس والأصل الرئيس في ذلك كله، قد يكون عندك سياسي صالح في مجتمع فاسد فهل يستطيع إن يعمل الكثير وحده، ولا أدل على ذلك من حالة النجاشي إذ كان مسلماً في مجتمع كافر فاسد، فلم يستطيع أن يظهر إسلامه خوفاً من قومه؟! وقد يكون عندك اقتصادي صالح فماذا يعمل إذا كان المجتمع فاسداً، هل يستطيع هؤلاء إن يمنعوا شخصاً فاسداً يجب الأذى ويقوم بتكسير الزجاج في الشوارع، ويؤذي المارة والسيارات كما نشاهد هذا في واقعنا، هل يستطيع السياسي الصالح أن يضع حارساً أو شرطياً على كل فاسد يمنعه من الانحراف، إن ذلك لا يتحقق إلا بالاعتدال الاجتماعي، وغرس العقيدة الصحيحة في النفوس.

المبحث الثاني:

دوافع المشكلات الاجتماعية المعاصرة

نجد من الواجب التعرف إلى المشكلات الاجتماعية المعاصرة ودوافعها، وذلك في محاولة لتجنب الوقوع في هذا الخطر الكبير، من ضياع روح المحبة والتسامح والمودة بين المجتمع المسلم، مما سيؤدى لتناحر والخومة والعنف بين افراده.

يقول رسول الله ﷺ: (ترى المؤمنين: في

والاستهام فيه، ص ٢٨٦، حديث (٢٤٩٣).

ذاته دافع لارتكاب جرائم العنف.

فانتشار البطالة في المجتمع داء خطير، وأياً مجتمع تكثر فيه البطالة ويزيد فيه العاطلون، وتضمحل فيه فرص العمل، فإن ذلك يفتح أبواباً من الخطر على مصاريعها، من امتهان العنف والجريمة والمخدرات والاعتداء والسرقة، وما إلى ذلك. فعدم أخذ الحقوق كاملة وعدم توفير فرصة العمل هذا يولد سخطاً عاماً يشمل كل من بيده الأمر قُرب أو بُعد، فإن الناس يحركهم الجوع والفقر والعوز ويسكتهم المال.

ثانياً: الممارسات السياسية المنحرفة:

ويقصد منه الممارسات التي تتضمن استخداماً فعلياً للقوة أو تهديداً باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية تتعلق بشكل نظام الحكم وتوجهاته الإيديولوجية، وبسياساته الاقتصادية والاجتماعية. يقول الكاتب مصطفى حجازي: (ردود فعل السلطة عنيفة ومباشرة وتأخذ طابعاً مادياً، والبنية الاجتماعية التي تنتج عن هذه الوضعية جامدة متصلبة، لا تتضمن أي صمامات أمان أو أي تقنية للعدوانية التي لا بد أن تتراكم، ولذلك فإن هذه العدوانية لا بد أن تتفجر في الداخل والخارج تبعاً للظروف)^(١).

بل يعد إهمال الرعاية أو التقصير في أمورهم وفي ما يصلحهم، من الأسباب المشجعة للعنف، لذلك على جميع من يلي أمراً من أمور المسلمين أن يقوم بما أمره الله به من أداء الأمانة، وحفظ الديانة، والنصح

(٤) مصطفى حجازي. التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت. الإنهاء العربي. ط ٥. ص ٢٠٣.

ف(الظروف الاقتصادية والاجتماعية غير المستقرة التي لا يتحقق فيها تلبية احتياجات الناس تدعم التعصب وتجعل النفوس ميالة إلى رفض الآخرين)^(١). ولقد بين النبي ﷺ أهمية توفير الوسائل العملية للحصول على الرزق الحلال الذي يعف النفوس عن الحرام، حيث قال ﷺ (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود لكان يأكل من عمل يده)^(٢).

وما ذلك إلا لبيان خطورة عدم توفير العمل وانهايار الوضع الإقتصادي بشكل كبير، وإن سبب (ظاهرة العنف هو فقدان الثقة في النظام الاجتماعي القائم. والفروق الشاسعة بين الطبقات في انهيار قيمة العمل وإهداره، لم يعد العمل الآن هو مصدر الثروة و لا مصدر الهيبة والاحترام، وإنما أصبحت الطرق غير المشروعة هي التي تجلب الثراء. وأصبح العمل غير مقترن بحسن الجزاء، فيجب أن نعيد القيمة الحقيقية للعمل)^(٣).

ومن الواضح أن السبب الأساس في وجود مثل هذا العنف يعود لسوء الأحوال الاقتصادية، لأن سوءها موجب لحصول الإحباط واليأس والحقد على المجتمع، فيؤدي ذلك إلى الانتقام منه. فالفقر في حد

(١) رفيق حبيب. الإحياء الديني. ص ١٤٢.

(٢) البخاري. الجامع الصحيح. كتاب البيوع. باب كسب الرجل وعمله بيده. رقم الحديث: ٤٣٢٥.

(٣) د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي. مشكلة الغلو في الدين. (٥٤٥/٢).



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

دلت النصوص الشرعية على إباحتها ولم يرد في تحريمها نص واضح، وما ذلك إلا للإفتقار للمنهج السليم في الدعوة إلى الله تعالى.

فيشيع بين الناس أنه لا يوجد علاج لما نشاهده من معصية أو تقصير في طاعة الله ﷻ إلا بما يسمى (العقوبات الصارمة) التي تحمي هيبة الدولة وتحفظ المجتمع، وهذا ان صح وأدت العقوبة غرضها في إخافة الناس، فإنها تؤدي كذلك غرضاً آخر أكثر خطورة وأهمية، هو قتل الروح المعنوية، وقبر الايجابية المحركة لعامة الشعب... بمعنى آخر، فإنه لكي يؤمن الحاكم الظالم نفسه وبطائنه ضد تحرك الناس ليتحرروا من ظلمه، فإنه قتل فيهم النخوة والحمية^(١).

ولأجل هذا قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

وعلى هذا ينبغي التعامل مع هذه المسائل بشيء من الحرص والدقة حتى لا تولد أثاراً سلبية على الواقع الاجتماعي والثقافي.

ثانياً: التعصب الديني المذهبي:

حذر القرآن الكريم من الفرقة في الدين قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا

(٢) البر.د. عبد الرحمن. عوامل الهدم والبناء في المجتمع الإسلامي. ص ١٨-١٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

للأمة، والصدق مع الرعية، وتلمس حاجات الناس، وتحقيق الحياة الكريمة لهم، ومتى ما أهمل أرباب المسؤولية رعاياهم، أو قصرُوا مع شعوبهم، أو تشاغلوا عن محكوميتهم، فذلك مفتاح الضياع، وطريق المهالك، ومنتفس الضلال.

قال رسول الله ﷺ: (إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك، أم ضيع، حتى يسأل الرجل على أهل بيته)^(١).

فلذلك تكون الدوافع للتخلص من السلطات السياسية الظالمة سبباً رئيساً في ظهور العنف ونشاطه، وليس من الحكمة أن تمتن كرامة الإنسان أو تسقط حقوقه.

المطلب الثاني:

دوافع الهمجية والتعصب الديني

ومن الدوافع التي تستهدف وحدة المجتمع وتسعى تفككه بالمؤثرات الخارجية ما يأتي:

أولاً: العنف والهمجية:

وهو العنف الذي تمارسه بعض الجماعات المتطرفة ضد بعض التقاليد أو القيم السائدة في المجتمع، وذلك من خلال الاحتجاج والرفض والمعارضة للظواهر الوافدة على المجتمع من خارجه، أو القيام بمقاطعة كل ثقافة غريبة عن بيئة المجتمع وأخلاقه، واتهام المجتمعات بالجاهلية المعاصرة.

ويتحقق هذا في محاربة التطور والمعاصرة، وإن

(١) النسائي. السنن الكبرى. رقم الحديث: ٩١٢٩.

الفكر الإسلامي وأثره في تنمية مبادئ الاعتدال الاجتماعي



البحوث المحكمة

هو ضبط النفس والاعتدال.

يَفْعَلُونَ ﴿١﴾.

والتعصب الديني والمذهبي غدا في الوقت المعاصر من أبرز الأسباب المؤدية للعنف، حيث نجد أن أشخاصاً يقتلون آخرين لمجرد الاختلاف المذهبي والعقائدي بينهم، نسأل الله تعالى أن يوحد صفوف المسلمين ويجمع شملهم.

المبحث الثالث:

ظواهر المشكلات الاجتماعية المعاصرة

للمشكلات والعوائق التي تأخر الاعتدال الاجتماعي صور متعددة تظهر طبقاً لدوافعه وأسبابه وكذلك الغايات المقصودة، فقد يكون العنف فردياً، وقد يكون جماعياً، وهذا يستدعي الإشارة إلى هذه الأقسام وبيانها بصورة موجزة، وهو كما يأتي بيانه:

المطلب الأول:

المظاهر المادية للمشكلات

الاجتماعية المعاصرة

وهو ما يتعرض المجتمع إليه مما يصيب جسم الإنسان من تعذيب وإبادة، واضطهاد، وترحيل وسجن. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ﴾ (٤).

وما ذاك إلا لما يمتلكه من حقيقة إيمانية، تفرغ الظالم وترعجه، قال تعالى مبيناً أسباب تعرض

وقال رسول الله ﷺ: (يا عائشة! إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، يا عائشة! إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب الأهواء والبدع أنا منهم بريء وهم مني براء) (١).

فكل تطرف في الدين أو ما غلافه المسلمون فسيبه هذه الفرق والجماعات والأحزاب، وهي بمجموعها مصدر البدع والفتن والأهواء والآراء، وأصل كل شر معارضة الشرع بالرأي، وتقديم الهوى عليه.

(فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به رسوله من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك أو نقصوا، مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله) (٢).

ويمكن القول بأن للتعصب فرعين، أحدهما يكون ممدوحاً وهو ما إذا كان يبرز صورة اعتزاز بمعتقد أو مذهب أو قومية مثلاً لكن دون أن يؤدي إلى كراهية الآخرين واحتقارهم أو الاستعلاء عليهم. أما التعصب المذموم، فهو التعصب الذي يأخذ الشكل العدواني.

وهذا يعني أن لا تكون الاحتقانات الداخلية سبباً إلى تبني خيار العنف والقوة، بل المطلوب دائماً

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٢) أبو نعيم. حلية الأولياء. (١٥٠/٤).

(٣) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. (٥٤/١١).

(٤) سورة الأنفال: الآية ٣٠.



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

قطاع الطرق وسارقي الأموال وقاتلي النفوس بدون حق، كما قال تعالى عنه: ﴿لَئِن أَخَذَتْ لِهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^(١).

هذا التهديد بالسجن قصد منه إكراه الرسول الموحد الداعي إلى التوحيد الذي هو أصل كل حق، على الإشراف بالله وعبادة الطاغوت الذي هو أصل كل باطل.

(اللجوء إلى العنف والبطش عند العجز عن الإقناع والإفهام إسلوب الجهلة والجبارة)^(٢)

والنبي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ تعرض للسجن بسبب تنزهه عن الفاحشة التي طلبتها منه امرأة العزيز في قصر السلطة، وقصور طغاة بعض الملوك والزعماء تضيق بالطاهرين الذين ينزهون أنفسهم من الفواحش، فلما رفض صاحب الحق الاستجابة لها واعتصم بالله طلبت سجنه، وكان السجن أحب إلى صاحب الحق من أن يستجيب للباطل.

ووقف صاحب الحق عالي الرأس، مفضلاً السجن على الاستجابة للمنكر، كما قال تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣).

ويصدر الحكم الظالم من أهل الباطل على البريء المظلوم صاحب الحق، دون رحمة لضعفه ولا تقدير لبراءته كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا

أصحاب الإخود للعذاب والتهمة الموجهة إليهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(١).

ومن خلال ذلك نجد أن حقيقة العنف كمفهوم تعتمد كلياً على ملاحظة الاتجاهات الثلاثة للعنف، وعلى هذا الأساس، فإن السلوك العنيف يتضمن معنى الإرغام والقهر من جانب الفاعل، والخضوع أو المقاومة من جانب المفعول به والمستهدف.

ونرى أن أهل الحق تلازمهم صفة الرحمة في أغلب الأوقات، وأما أهل الباطل فالأصل أنهم غير رحماء، فإذا ما وجدت عند بعضهم بعض معاني الرحمة، فالغالب أنها تتعلق بتحقيق مصالح يرغبون بإستحصالها.

ومن مظاهر العنف الإجتماعي المادي الذي ذكر في الآية الكريمة، ما يأتي:

أولاً: سجن المعتدى عليه بدون حق.

وهذه العقوبة القاسية تعدّ عند الطغاة الفراعنة أهل الباطل تفضلاً منهم على أعدائهم من أهل الحق، لأن أهل الحق لا يستحقون الحياة، والسجن قد يكون محطة يعبر منها السجن إلى مشنقة الموت، أو ينسى في السجن نسيان القساة الذين نزع الرحمة من قلوبهم.

ففرعون يهدد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الرسول الموحد الذي يدعو إلى توحيد الله وعبادته وحده، ويحذره من أن يعبد لها غيره، ويتوعده بالسجن مع المجرمين من

(١) سورة البروج: الآية ٨.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢٩.

(٣) الشنيطي. أضواء البيان. (١٢٩/٩).

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٣.

الآيات لَيْسْ جُنَّةً حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١١﴾ أجمعين ﴿٥﴾.

ثانياً: القتل بكل الوسائل المؤدية إليه.

إن رسل الله وأتباعهم من أهل الحق، يسعون جادين إلى إنقاذ أهل الباطل من ضلالهم الذي يشقيهم في الدنيا والآخرة، شفقة عليهم ورحمة بهم، وأهل الباطل تتصلب قلوبهم وتقسو نفوسهم، فيهددون من يريد رحمتهم، بالرجم والعذاب الأليم! لأن قلوب أهل الحق مليئة بالرحمة وقلوب أهل الباطل خالية من الرحمة مليئة بالقسوة.

وقد هدد أهل الباطل بالرجم رسل الحق ودعاته

وأهله، كما قال تعالى عن قوم نوح: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَه يَأْنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾^(١١).

وقد هدد فرعون السحرة الذين استنجد بهم

للاتنصار على آيات موسى وبراهينه بسحرهم، فبطل

سحرهم وتسلل الإيذان برب موسى ودعوته إلى

قلوبهم، فانقلبوا مؤمنين بالحق الذي جاء به موسى

آلله ضد الباطل الذي كانوا قد نشئوا عليه وأعانوا

عليه فرعون، وعندما ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٢)،

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾^(١٣)، اشتدت قسوة فرعون،

وقال تعالى عنه: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَا لَكُمْ إِنَّهُ

لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْلَمُونَ

لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتِكُمْ

(٥) سورة الشعراء: الآية ٤٩.

(٦) أبو السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.

(٢٩/٦).

(٧) سورة الأعراف: الآية ٨٨.

(٨) سورة الأعراف: الآية ٨٢.

(١) سورة يوسف: الآية ٣٥.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١١٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٢١.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢٢.



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

كلمات مبهمه، فقدت بالتالي قدرتها على الرؤية، وقدرتها على العطاء الحضاري، أصبحت لعبة في يد كل ناعق سواء كان ذا صوت طبعي أو مصطنع^(٥).

قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين مصبراً لهم، مبيناً لهم، أنهم لا بد أن يتعرض لهم أعداء الحق من أهل الباطل، من اليهود والنصارى والمشركين، بالأذى الذي يحتاجون معه إلى الصبر والتقوى في ثباتهم على الحق: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٦).

أسمع أيها الداعية المسلم من أعدائك (الطعن في الدين الحنيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن)^(٧).

فهذا يعني أن يمارس العنف بشكل شديد الخطورة وهو العنف الفكري الذي يستوجب مصادرة آراء الناس، ولعلنا لانبتعد كثيراً عن الواقع المعاصر وماحصل فيه من تكميم للأصوات الناطقة بالحق ومطاردة أصحابها بل وقتلهم، واتهامهم بالتهمة الباطلة. بل أن الانتخابات هو تعبير لإرادة الشعوب، وتلبية لمتطلبات حياتهم، وأي تزوير فيها يعد عنفاً كبيراً، وسرقة لحقوق الناس في اختيار من

من فعل ما تفعلونه ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك ف﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾^(٨).

وقال تعالى مسلماً رسوله ﷺ وقد أخرجته قومه من أحب بلد إليه، المسجد الحرام: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾^(٩).

المطلب الثاني:

المظاهر المعنوية للمشكلات

الإجتماعية المعاصرة

وهو ما يتضمن أفعالاً تصيب الناس في إرادتهم وتفكيرهم ووعيهم، مثل خداع الفكر، وغسل الدماغ وماشابه.

فهذا فرعون يصادر عن قومه حرية التفكير والتعبير عن آرائهم، قال تعالى في محكم التنزيل مبيناً رأي فرعون الجبار العنيد وهو يخاطب قومه الذين استخف هو بعقولهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(١٠).

(حيثما حل العنف واللامشروعية، وانساق الجماهير دون تعقل خلف رايات متعددة، وخلف

(٥) د. عبد الحليم عويس. دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية.

ص ٢٦.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.

(٧) النسفي. تفسير النسفي. (١/١٩٦).

(٨) سورة محمد: الآية ٣.

(٩) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٣/٣٦٩).

(١٠) سورة محمد: الآية ١٣.

(١١) سورة غافر: الآية ٢٩.



الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٤﴾.

المبحث الرابع: صور الاعتدال الاجتماعي ومستوياته

للفكر الاسلامي أثره الكبير في معالجة المشكلات الاجتماعية المعاصرة، يؤكد من خلال العديد من آياته على لزوم تجنبه، من دون فرق بين نوع ونوع أو صورة وصورة منه، وعلى أي حال فقد طرح الإسلام منهجاً لعلاج العنف يتمثل في ركنين:

المطلب الأول:

صور الاعتدال الاجتماعي

فيكون ذلك من خلال تربية الفرد تربية صالحة تقوم على أساس المحبة والرفق ليجعل منه فرداً صالحاً طيباً متسامحاً في بيته ومجتمعه، ونجد ذلك واضحاً من خلال، ما سنجده من الوصايا القرآنية والنبوية في هذا الجانب ومن أهمها ما يأتي:

أولاً: بث روح التسامح وإشاعة السلام في الإسلام:

دعت الشريعة الإسلامية إلى نبذ العصبية، وإشاعة التسامح والسلام، وأكدت النصوص القرآنية على كيفية تعامل الإنسان مع إخوانه في الإنسانية، وإن اختلفوا في الاعتقاد، فمع جملة الكفار الذين لم يصدر منهم العداوة والمكر السيء، يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ

يمثلهم، ويتولى أمرهم، ولأجل هذا الأمر الجلل ينبغي أن تراعى حقوق الناس الفكرية.

ولعل من الواجب أن نؤكد على ضرورة عدم استخفاف الرؤساء بقول مرؤوسهم، كما فعل فرعون مع قومه، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِتْمَامًا كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١).
(فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته، أو فاستخف أحلامهم فأطاعوه فيما أمرهم به، إنهم كانوا قوماً فاسقين، فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق) (٢).

وقال تعالى مسلماً رسوله: ﴿وَمَوْسَىٰ لَهُ عَلَىٰ مَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْ أذى قَوْمِهِ الْمَشْرِكِينَ، بِإِيقَافِهِ قَبْلَهُ إِخْوَانَهُ الْمُرْسَلُونَ مِنْ أَقْوَامِهِمْ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣).

ومن هنا يتبين وجوب المصابرة على هذا العنف الذي يقصد به مصادرة حرية الكلمة، فالمسلم يجب عليه مواجهة هذا النوع من العنف، ويقف عند إمام جائر يصادر حقوق الناس في الكلام والتعبير عن الآراء، بموقف بطولي شجاع.

ووقف السحرة بعد أن اتضح الحق لهم أمام فرعون الجبار العنيف، وحكى القرآن الكريم مقولتهم فقال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

(١) سورة الزخرف: الآية ٥٤.

(٢) أنوار التنزيل، البضاوي، (١٤٩/٥).

(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٤.

(٤) سورة طه: الآية ٧٢.



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

ثانياً: الدعوة إلى الصفح والعتفو:

مما أكد عليه المنهج الإسلامي ضرورة إشاعة مبدأ العفو والصفح عما يفعله الإنسان خطأ أو سهواً، قال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خُفِّفُوا أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾^(٤).

(إن تبدوا خيراً طاعة وبراً أو تخفوه أو تفعلوه سراً أو تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر إبداء الخير وإخفائه تسيب له، ولذلك رتب عليه قوله فإن الله كان عفواً قديراً، أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام، فأنتم أولى بذلك، وهو حث للمظلوم على العفو، بعدما رخص له في الانتظار حملاً على مكارم الأخلاق)^(٥).

ومن أجل المصاديق على ما ذكرناه مافعله الرسول محمد ﷺ في مكة يوم فتحها، فمع ما لاقاه هو ومن معه من المسلمين إلا أنه قابل ذلك بالعفو والصفح، لا بالانتقام، إنه دعا لهم يوم الطائف بالصلاح والهداية، وعفا عنهم يوم الفتح، فما أبره وأتقاه ﷺ، حينما قال لهم إذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثالثاً: ترك العنف في الممارسة للحياة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦).

يقول الشوكاني رحمه الله: (لا تفسدوا في الأرض

مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)^(١). أي (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم إن الله سبحانه وتعالى عم بقوله الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم جميع من كان ذلك صفته فلم يخص به بعضا دون بعض ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام أو تقوية لهم بكرع أو سلاح)^(٢).

هكذا نجد أن التشريع الإسلامي أكد على التسامح والصلوة مع من لم يضر العداوة والبغضاء، ومع من نجد فيه النية الحسنة للتعايش السلمي في مجتمع واحد تملؤ روح المواطنة الصالحة والتكامل الاجتماعي.

وتحتم الآية الكريمة بميزان العدل والإحسان بما معناه: (إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم)^(٣). فالإنصاف والتسامح والمودة مرغوب فيه مع كل من يجب العيش بسلام، على القاعدة العامة في التعايش السلمي.

(٤) سورة النساء: الآية ١٤٩.

(٥) أنوار التزليل، البيضاوي، (٢/٢٧٣).

(٦) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨.

(٢) الطبري: جامع البيان، (٢٨/٦٦).

(٣) المصدر نفسه.

على إصلاح غيره وتقويمه^(٣).

فإنه يعد من العنف القوي الذي يوجه للناس فيستدعي إثارة الشحنة والبغضاء، وقد يؤدي إلى الوصول إلى العنف الفعلي والقتال. خامساً: ترك العنف في التفكير:

دعا الإسلام إلى الوسطية والاعتدال في المنهج التفكيرى الإسلامي، فلا يتعصب الإنسان ويكون حاداً في مواقفه مع الآخرين، كما أنه لا يبنى القاعدة الفكرية على أساس من التعصب واستعمال العقل الباطن في تفسيرات باطلة، قد يكون لأصل لها، أو أن تعطى حجماً أكبر من حجمها الحقيقي بما سيؤثر غلظة في التعاملات العملية في المجتمع الواحد، ولأجل هذا بين القرآن الكريم خطورة هذا الأمر حين قال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٤).

(بما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه ولو كنت فظاً سيئ الخلق جافياً غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك

(٣) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (ت ٤٥٨هـ). شعب الإيوان. تحقيق: محمد السعيد بيسيوني، دار الكتب العلمية-بيروت. ط ١٠١١ (١٤١٠هـ). (٦/٨٦).
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

بالنفاق وموالاتة الكفرة وتفريق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن فإنكم إذا فعلتم ذلك فسد ما في الأرض بهلاك الأبدان وخراب الديار وبطلان الذرائع كما هو مشاهد عند ثوران الفتن والتنازع^(١).

فالمسلم داعية للإصلاح ولا يكون سبباً في إفسادها، بل هو يتعد مراد المنافقين وأخلاقهم التي تكون سبباً في إيقاع الفتنة تفريق الصفوف المتحدة. رابعاً: ترك العنف القوي:

من خلال آياته التي تضمن الدعوة إلى ترك عنف اللسان، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ينبغي على الداعية والمجتمع المسلم أن يراعي هذا الأمر بشكل دقيق جداً، حتى لا يثير حوافظ الناس وكوامنهم في ظل ظروف صعبة وحالات نفسية متدهورة، قد تصدر من الإنسان ألفاظ غير منضبطة، ولذلك (ينبغي أن يكون الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر مميزاً برفق في موضع الرفق، ويعنف في موضع العنف، ويكلم كل طبقة من الناس بما يعلم ما يليق بهم، وأنجع فيهم، وأن يكون غير محاب ولا مدهن، وأن يصلح نفسه أولاً ويقومها، ثم يقبل

(١) فتح القدير، الشوكاني، (١/٤٢).

(٢) سورة الأنعام: ١٠٨.



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

مَا الْمُفْلِسُ“ قَالَوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ،
فَقَالَ: ”إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ
وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ
مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ
حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ
يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ
طُرِحَ فِي النَّارِ“^(١). أن هذه الأصول كانت متحققة في

دعوة سيدنا شعيب لقومه، قال تعالى: ﴿وَالِي مَدْيَنَ
أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْكُمْ بَخِيًّا وَإِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ # وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٢).

ومن هنا يجدر بكل صالح في عقيدته، أن تصدر
عنه الأعمال الصالحة، القلبية والبدنية، فإصلاح
الأعمال القلبية وهي الانفعالات النفسية وما يترتب
عليها من آثار حميدة أو ذميمة، فيكون بإصلاح الضمائر
والأخلاق، والنهي عن الكبر والحسد وغيرها.

فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ،
قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ نُوبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ
حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ،

لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك، فاعف عنهم فيما
يختص بك واستغفر لهم فيما لله، وشاورهم في الأمر أي
في أمر الحرب إذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور
فيه استظهارا برأيهم وتطيبيا لنفوسهم وتمهيدا لسنة
المشاورة للأمة^(٣).

المطلب الثاني:

مستويات الاعتدال الاجتماعي

يقوم الاعتدال الاجتماعي على مستويات محددة
حتى يتم تحقيق أهدافه وهي على قسمين هما:

أولاً: الاعتدال الاجتماعي على مستوى الأفراد:

يقوم إصلاح الفرد على إصلاح عقله الذي
هو الأساس لإصلاح جميع خصاله، وبعدها يأتي
إصلاح أعماله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ
ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٤). وعن سفيان
بن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في
الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: "قل
أمنت بالله فاستقم" وفي رواية أحمد "ثم استقم"^(٥).

ومن المعلوم أنه من صلحت عقائده وأفكاره،
صلحت أعماله وأقواله، وإلا جاء مفلساً كما جاء في
حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "أَتَدْرُونَ

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل، (١٠٨/٢).

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٠.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب
جامع أوصاف الإسلام، ص ٢٤، حديث (٣٨)، ومسنود أحمد،
مرجع سابق، ج ٢٤، ص ١٤١، حديث (١٥٤١٦)، قال المحقق:
إسناده صحيح.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب
تحريم الظلم، ص ٦٥٩، حديث (٢٥٨١).
(٥) سورة هود: الآيات (٨٤-٨٥).

وَعَمَّ طُّ النَّاسِ^(١) .

النصوص التي تحت على ذلك، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: ٣٤]، وبين عليه الصلاة والسلام أهمية الأخلاق في حديث عبدالله بن عمرو قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وإنه كان يقول: "إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً"^(٥).

ثانياً: الاعتدال الاجتماعي على مستوى المجتمع:

يشمل الاعتدال الاجتماعي على مستوى المجتمع السياسي والاقتصادي والسلوكي.

ذلك لأنها من مقاصد القرآن؛ لأن الإسلام دين هداية وسيادة وسياسة وحكم، فما جاء به القرآن من إصلاح البشر في جميع شؤونهم، يتوقف على السيادة وإقامة الحق، والحكم بالعدل، وحماية الدين والدولة^(٦).

إن صلاح المجتمع يكون بطاعة الله ورسوله، وعدم التنازع والتفرق، لأن ذلك يؤدي إلى الفشل الذريع، والضعف الذي لا تقوم للأمة به قائمة، قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ص ٧١٣، حديث (٦٠٣٥).

(٦) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٧٦-١٧٧.

وإصلاح الأعمال البدنية وهي التي تقتربها الجوارح، فيكون إصلاحها بالوقوف عند حدود الشريعة فيها، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفر"^(٢).

وأما أعمال العبادات فإنها شرعت لتربية هذا الروح الأمرى في الروح الخلقى، ولذلك شرط فيها النية والأخلاص، ومتى تربي سهل على صاحبه القيام بسائر التكليف الأدبية والمدنية، التي يصل بها إلى المدينة الفاضلة، وتحقيق أمنية الحكماء^(٣).

ولا يخفى ما للعبادة من أثر في إصلاح الفرد، كيف لا وهو واضح في قوله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٤).

كما ينبغي أن نبين أثر العمل في إصلاح الأخلاق الإسلامية عند الأفراد، فقد أنشئ الله تعالى على خلق النبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤]، فمعاملة الناس والتواضع لهم أولاً، ثم قيام الليل والعبادة ثانياً؛ لأن المجتمع ينتفع من الخلق الحسن، بينما العبادة لصاحبها فقط، لذا جاءت

(١) مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص ٣٣، حديث (٩١).

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ص ١٦، حديث (٤٨).

(٣) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ٢٥٨/٣.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

الذين آمنوا ﴿ خمس مرات أوامر كثيرة جداً في الاعتدال الاجتماعي، وورد النداء للناس بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ [سورة الحجرات: ١٣].

إن القرآن الكريم قد أقام الروابط بين المسلمين بتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض، من خلال تحريم

دم المسلم وماله وعرضه، وغير ذلك من التوجيهات التي وردت في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ # وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَأَنْكَلِفَ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ # وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ [سورة الأنعام ١٥١-١٥٣]، فقد انقسمت الأحكام في الآيات السابقة إلى ثلاثة أقسام: الأولى:

أحكامها إصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس والمفتحة بقوله: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾، والثاني: أحكامها حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض والمفتحة بقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾، والثالث: أحكام جامعة للهدى وهو أتباع طريق الإسلام،

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ قد وضع قواعد لإصلاح المجتمع، منها بناء المسجد، وللمساجد دورها العظيم في الاعتدال الاجتماعي، ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهو ما جاء في الآية السابقة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، وكذلك ما ورد من أحاديث تمتن هذه الروابط الاجتماعية، منها حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " (١). وحديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " (٢).

إن المتأمل في سورة الحجرات المكونة من (١٨) آية، يرى في ورود النداء القرآني للمؤمنين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾،

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص ١٢، حديث (١٣)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ص ٢٥، حديث (٤٥).
(٢) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص ٧١، حديث (٦٠١١).

هذا وقد عد محمد رشيد رضا الاعتدال الاجتماعي من مقاصد القرآن الكريم، وهو يقوم على أصول أدبية أربعة هي:

- وحدة الأمة: قال تعالى مخاطباً أمة الإسلام: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٢].

- الوحدة الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم وشاهده قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، وقد بلغ النبي ﷺ ذلك للأمة في حجة الوداع.

- وحدة الدين بإتباع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي جاء به غيره من الرسل، وأكمل تشريعه بما يوافق جميع البشر ودليله قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

- وحدة الأخوة الروحية والمساواة بين المؤمنين بهذا الدين في أخوته الروحية، وعبادته، وفي الاجتماع الاجتماعي، منها الصلاة ومناسك الحج، فملوك المسلمين وأمراءهم وكبار علمائهم، يختلطون بالعوام

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية، ص ٢٧، حديث (٥٧).

مَجَلَّةٌ عَلَيْهِمْ وَتَفَافِيهِمْ وَتَرَىٰ رُؤْيَاهُمْ فِيكَ مَكْتُمَةٌ
تَصَدَّقُوا عَنْ كَيْفِيَّةِ التَّزْيِينِ لِلْمَكْتُمَاتِ

كَلِمَاتُ اللَّهِ تَنْبِيءُ لِلنَّبِيِّاتِ

والتحرز من الخروج عنه إلى سبيل الضلال والمفتتحة بقوله: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾.

كما يرى المتأمل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]. أن هذه الآية قد جمعت الفضائل كلها، والتي ينشئ عنها صلاح أفراد المجتمع جميعاً في العقيدة وصالحات الأعمال.

وجاءت الأحاديث الشريفة التي بينت كيف يتحقق الاعتدال الاجتماعي، منها حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ" (١)، وحديثه تَحَلَّفَ عَلَيْهِ أيضاً قال: قال النبي ﷺ " لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ" (٢).

(١) المرجع السابق، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ص ٧٥٨، حديث (٦٤٧٥).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب النهي بغير إذن صاحبه، ص ٢٨٣، حديث (٢٤٧٥)، ومسلم،



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

٢- الاعتدال الاجتماعي أصل شرعي من أصول الإسلام، دعا إليه القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهو عملية تجديد تتصل بالحياة، بحيث تحمي المجتمع من شيوع المفسد والمنكرات والانحراف، وبالتالي يتحقق إصلاح البشر من جميع النواحي، وبصلاح الإنسان يصلح العالم .

٣- لا ينفك الاعتدال الاجتماعي عن باقي أنواع الاعتدال، كالاعتدال السياسي، والاقتصادي، والتعليمي، والفكري، والسلوكي، لكنه الأهم بين هذه الأنواع، وهو بمثابة حجر الزاوية، وهذا ما جاء في تركيز المصلحين على هذا النوع من الاعتدال .

٤- الحاجة للإصلاح الاجتماعي تزداد كلما كثر الانحراف في المجتمع؛ لأن كثرة المعاصي سبب للهلاك والدمار، ووجود المصلحين سبب للأمان كما نصت على ذلك النصوص الشرعية .

٥- إن صلاح الفرد يكون بإصلاح عقيدته التي هي سبب في إصلاح عمله ثم عبادته، ثم خلقه وسلوكه، وبصلاحه يصلح المجتمع، ويتحقق الاعتدال المجتمعي الذي يقوم على الاعتدال السياسي والاقتصادي والسلوكي .

٦- إن العادات والتقاليد المنافية للعقيدة لا تحقق الاعتدال ويجب التصدي لها .

٧- إن أهم الفئات التي تحتاج إلى إصلاح اجتماعي، هي فئة اليتامى، والأسرة، والمتخاصمين .

والفقراء في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج، ولا يرضى غير المسلمين بمثل هذه المساواة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]، وقوله: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ١١]^(١)

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، وباستغفاره تنزل البركات، وبالتوبة إليه تبدل السيئات إلى حسنات، والصلاة والسلام على المؤيد بالمعجزات الباهرات وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

البحث له أهمية كبيرة ويسهم في معالجة المشكلات الاجتماعية والسعي إلى الاعتدال الاجتماعي بين أفراد المسلمين .

أهم التوصيات التي توصلت إليها ما يأتي:

١- إضافة مفردة الاعتدال والوسيلة ضمن مادة الفكر الاسلامي وذلك لملاحظة المشكلات الاجتماعية وتقديم التوصيات لمعالجتها وتوسعة مدارك الطالب الجامعي في فهم اضرار الفكر الغربي على المجتمع المسلم.

(١) انظر: تفسير المنار، مرجع سابق، ج ١١، ص ٢٥٥-٢٥٧.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (١٩٤هـ-٢٥٦هـ). الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. دار إحياء التراث العربي. ط ١. بيروت-لبنان. ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢. البر. د. عبد الرحمن. عوامل الهدم والبناء في المجتمع الإسلامي. (د.ت).
٣. البيضاوي. القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. ت. ٧٩١هـ. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دار الكتب العلمية. بيروت. ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.
٤. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: ٣٨٤-٤٥٨هـ، شعب الإيثار، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
٥. ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني الدمشقي: ٧٢٨هـ، مجموع الفتاوى، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٦. الجوهري. إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. دار الكتب العربية. مصر. (١٣٧٦هـ-١٩٥٦م).
٧. أبو داود، الإمام الحافظ المتقن أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي: ٢٠٢-٢٧٥هـ، سنن
٨. الزبيدي. محمد مرتضى الحسين (ت. ٨١٦هـ). تاج العروس المسمى من جواهر القاموس. تحقيق: عبد الكريم العزباوي. دار الفكر. بيروت. (د.ت).
٩. أبو السعود (ت. ٩٨٢هـ). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (د.ت).
١٠. الشبل. علي بن عبد العزيز بن علي. الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف. (د.ت).
١١. الشوكاني. محمد بن علي بن محمد (ت. ١٢٥٠هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار الفكر-بيروت. تحقيق: علي محمد عمر. ط ١ (١٣٩٦هـ-١٩٧٥م).
١٢. الشنقيطي، محمد أمين بن محمد بن المختار الحنبكي ت. ١٣٩٣هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر-بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٣. الأصفهاني. الحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت. ٤٣٠هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١. (١٤٠٩هـ-١٩٨٨م).
١٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: ٢٢٤-٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، خرج أحاديثه: إبراهيم محمد العلي، دار القلم، ط ١، دمشق، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٥. د. عبد الحلیم عويس. دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية. (د.ت).
١٦. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي. مشكلة الغلو في



أ.د. أحمد خزعل جاسم ... د. احمد عباس محمد

- الدين. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط. ٢. (١٤٢٠هـ).
١٧. ابن فارس. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. بيروت.
١٨. الفيروز آبادي مجد الدين محمد يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٩. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
٢٠. ابن كثير. إسماعيل بن كثير الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم. دار الجليل. بيروت. ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
٢١. مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار احياء التراث العربي. بيروت. (د.ت).
٢٢. مصطفى حجازي. التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور. معهد الإنماء العربي. بيروت. ط. ٥.
٢٣. المناوي محمد عبد الرؤوف: ٩٥٢-١٠٣١هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٤. ابن منظور. محمد بن مكرم العلامة ابو الفضل جمال الدين الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ). لسان

